في ذكرى قيامتك الرابعة

بغداد.. ستظلين ذهب الزمان

شاكر النابلسي

-١-
منذ أربع سنوات، وفي مثل هذا اليوم من التاسع من نيسان، سقط هبل العراق الأكبر، وهبل العرب الأضخم، الذي ما زال العرب يبكون عليه حتى الآن.كذب الخرّاسون الذين قالوا بأن بغداد سقطت في ذلك اليوم المجيد.
بغداد نهضت، في ذلك اليوم، ولم تسقط.سقط هُبل العراق ونظامه فقط.بغداد قامت من تحت الرماد، في مثل هذا اليوم، منذ أربع سنوات، وهي تنفض عنهاليس رماد ثلاثين عاماً أو أكثر من ديكتاتورية حزب البعث الفاشي، ولكنه رماد قرون طويلة عاشتها بغداد تحت ديكتاتورية الخلافة الأموية، والعباسية، والعثمانية.

-٢-
العرب والعجم من جيران العراق ومن غير جيران العراق، لم يريدوا لبغداد أن تكون بيروت أخرى. بيروت ما قبل ,١٩٧٥ بيروت الحرية، وبيروت الصحافة، والكتاب، والحداثة، والذوق، والفن، واشعاع الثقافة.
العرب والعجم، كما عملوا على تحطيم أسطورة بيروت، عملوا الشيء ذاته مع بغداد.
لبنان قبل ١٩٧٥ كانت شوكة ناعمة، ولكنها موجعة في حلق وخاصرة الأنظمة العربية.
كان الليبراليون في كل بلد عربي، يريدون أن تكون عاصمة بلادهم أشبه ببيروت الحرية والحداثة. ولذا تخلّصت الأنظمة العربية والعجمية من بيروت (ست الدنيا) عندما أشعلت بالسلاح والذهب الحرب الأهلية، ودمّرت بيروت.

-٣-
من دمّر بيروت، وفضّ بكارة (ست الدنيا) من العرب والعجم بالسلاح والمال والمرتزقة والجواسيس، هو نفسه الذي لم يرِد لبغداد أن تنعم بفرحة وسعادة التحرير من عهد الطغيان الفاجر.
مدن العراق الأخرى، كمدن الشمال، نعمت بهذه الفرحة وهذه السعادة. وبدت مدن شمال العراق في عيد مستمر منذ أربع سنوات، في حين حرمت بغداد وحرمت مدن الجنوب العراقي من هذه الفرحة.

-٤-
إيه يا بغداد الحزينة.. يا ذهب الزمان كما أنشدتك فيروز، قبل سنوات.
ما الذي كان يمنعك يا بغداد.. يا ذهب الزمان، من أن تكوني كما هي اربيل الآن، مدينة مزدهرة آمنة، يتسابق المستثمرون في العالم على العمل، واشعال الحياة فيها من جديد، بعد أن دمرها حكم الطغاة في عام ١٩٩١ وهجّروا منها أكثر من مليون مواطن، في حملة الأنفال، ووحوش الأدغال؟
ما الذي كان يمنعك يا بغداد.. يا ذهب الزمان، من أن تكوني آمنة مطمئنة مثل السليمانية الآن، تنامين قريرة العين، زاهرة، بحيث جذبت الآلاف من العمالة العراقية والعربية، وبأجور مرتفعة، وتدفقت عليها رؤوس الأموال من كل صوب؟
ما الذي كان يمنعك يا بغداد.. يا ذهب الزمان، من أن تكوني وباقي مدن العراق في الجنوب والوسط كباقي مدن كردستان في شمال العراق كله؟

-٥-
إن التاريخ يكرر نفسه، ولكن بتحفظ شديد.
بل نحن الذين نكرر وقائع التاريخ.
أنظر ماذا فعل الاحتلال الفرنسي في لبنان، وماذا فعل المصريون بالحملة الفرنسية؟
لبنان ظاهرة حداثية مُستهجنة في العالم العربي، رغم عيوبه الطائفية وديمقراطيته المنقوصة. لذا، تسعى كل الأنظمة الديكتاتورية والظلامية في العالم العربي والإسلامي الى تدميره والقضاء على مؤسساته الدستورية، حتى لا يُستنسخ الى أمثلة أخرى، تهدد النظام السياسي العربي القائم، والمعابد الثقافية العربية.
تأملوا جيداً وضع شمال العراق ، وتأملوا وضع وسطه وجنوبه، وقولوا لنا ما الذي بنى الشمال وأزهاه ونمّاه وطوّره على هذا النحو الآن بحيث تتمكن جريدة عراقية ك "المدى" من أن تقيم في كل عام، وفي هذا الشهر، من كل عام منذ سنوات، أسبوعاً ثقافياً حاشداً، تدعو فيه كوكبة كبيرة من المثقفين العرب، يذكرنا بأيام بغداد الثقافية في العصور الخوالي.

-٦-
بغداد.. يا ذهب الزمان.
لا أريد اليوم أن أتغزّل بك أكثر. فلم يترك لي الشعراء الكبار مجالاً في هذا.
ولكني اليوم أريد أن أذكّر العراقيين، وأقول لهم: لا تحزنوا، ولا تيأسوا، فبغداد ظلت على مدار الزمان، غواية المغول في الماضي والحاضر. والمغول القتلة الذين أرسلهم اليكم الجيران من العرب والعجم، لن يفعلوا في بغداد ما فعله مغول القرن الثالث عشر (١٢٥٨).
إنه الغزو المغولي الحديث، غزو القرن الحادي والعشرين.
ولكنا كعرب لا نعترف بكل هذا، ونلقي اللوم على الآخرين المُحررين. فإذا كنا على حق في لوم غير المغول الجدد، فلماذا لم ينجح المغول الجدد في تدمير الشمال، كما نجحوا في تدمير الوسط والجنوب فقط.
لماذا نجح المغول الجدد بسياراتهم المفخخة وبانتحارييهم وعملائهم في تدمير الوسط والجنوب فقط، واستعصى عليهم الشمال بأكمله.

-٧-
فلا تحزنوا أيها العراقيون اليوم، في عيدكم الأكبر، يوم التاسع من نيسان المجيد.
وكما عادت بغداد بعد المغول ذهب الزمان، ستعود أيضاً بعد المغول الجدد المُحزمين بالأحزمة الناسفة، والممتطين السيارات المفخخة، والخاطفين، واللصوص، ذهب الزمان من جديد.
بغداد.. يا ذهب الزمان، لك البقاء وحدك، لأنك تنشدين الحرية، وبالحرية وحدها ستعيشين خالدة.
السلام عليكم.

العهد الدولي شراكة عراقية- أممية لاستعادة الأمن والازدهار

خالد طالب

يشكّل "ميثاق العهد الدولي من أجل العراق" الذي يأتي في اطار مبادرة مشتركة بين الأمم المتحدة والعراق ، بدعم من البنك الدولي ، نقطة تحول في علاقة العراق بمحيطه الدولي ، فمنذ أن ضيفت الكويت الاجتماع التحضيري وفيع المستوى حول العهد الدولي مع العراق في ٣١ تشرين الأول ٢٠٠٦ الذي حضره ممثلون عن ١٤ دولة عربية وأجنبية ، بالاضافة الى ٨ هيئات ومؤسسات دولية ، ووفد حكومي عراقي برئاسة نائب رئيس الوزراء الدكتور برهم احمد صالح ، وخرج بإعلان الكويت ، مؤتمر "تحالف عهد العراق" الذي عقد بمقر الامم المتحدة في نيويورك بتأريخ ١٦ من شهرآذار الماضي ، وبحضور الامين العام للامم المتحدة بان كي مون وممثلي نحو ٨٠ دولة ، وترأس وفد العراق نائب رئيس الجمهورية الدكتورعادل عبد المهدي ، وما قبل وبعد هذين المؤتمرين ثمة مؤتمرات للدول المانحة ، كان آخرها مؤتمر اسطنبول للفترة من ١٩ ولغاية ٢٠ من شهر آذار ، والعراق يهدف من خلال تلك الاجتماعات الى وضع أطر لشراكة حقيقية وجادة بينه والمجتمع الدولي ، لدعم مسيرته نحو الازدهار والاستقرار والتكامل الاقتصادي مع المنطقة والعالم.

وكانت تصريحات المسؤولين العراقيين بهذا الصدد، تؤكد رغبة العراق في كسر طوق العزلة السياسية والاقتصادية، التي فرضت عليه بسبب سياسات النظام السابق، ويشير الدكتور برهم احمد صالح الى ان الحكومة العراقية، تضع من خلال هذا العهد معالم "خارطة طريق" نحو استقرار العراق، وتحويله الى بلد موحد وديمقراطي فيدرالي آمن ومستقر ويعتمد اقتصاد السوق، لافتا الى الرغبة في ازالة السياسات الاقتصادية التي كانت تكافئ القلة على حساب الكثرة، وابقت البلاد في عزلة دولية، موضحا ان العهد الدولي يتضمن الخطوات التي سيتخذها العراق للارتقاء بالجانب الاقتصادي، ومكافحة الفساد، وادخال اصلاحات على الدعم الحكومي للسلع وصولا الى انهاء ثقافة التبعية، التي ابتدعها النظام السابق، والتي لا تزال مستمرة حتى الآن، وفي مجال الطاقة يؤكد نائب رئيس الوزراء ان الحكومة لديها برامج طموحة لرفع معدل الانتاج من ٢,٤ مليون برميل يوميا الى ٤,٤ مليون برميل عام ٢٠١٠ ثم الى ٦ ملايين برميل عام ٢٠١٢، كما اشار الى جملة خطوات لتحسين مناخ الاستثمار وجاذبيته وتطوير القطاع الخاص، وصولا الى اتمام عملية دمج العراق مع اقتصاديات المنطقة والعالم، اما الناطق الرسمي باسم الحكومة علي الدباغ فيوضح ان مبادرة العقد الدولي، فكرة طرحها رئيس الوزراء نوري المالكي على الأمين العام للأمم المتحدة على اساس ان يتعهد العراق باصلاحات سياسية وأمنية واقتصادية مقابل دعم المجتمع الدولي له، ويتابع ان العراق الذي يعتمد على النفط مورداً وحيداً لا يملك القدرة على اعادة بناء البنية التحتية، التي قال انها قد تتكلف مئة بليون دولار.
وفكرة العهد الدولي مع العراق، ترتكز على التزامات متبادلة لإرساء عراق مستقر آمن وفاعل في محيطه الاقليمي والدولي، والالتزامات المترتبة على العراق، وفقا للعهد هي التزامات سياسية معنية بتأسيس "حكم رشيد" في العراق يمثل العراقيين بطريقة ديمقراطية، وتأسيس مؤسسات مستقلة تدعم الديمقراطية بنزاهة وحيادية، وخطوات اقتصادية سليمة تنقل العراق من اقتصاد حكم مركزي شمولي إلى اقتصاد السوق والبدء ببرنامج وطني للمصالحة، الى جانب التعاون والاندماج اقليميا ودوليا، وبناء قوات عراقية أمنية قادرة على مواجهة التهديدات الأمنية والإرهابية بدعم ومساندة من الأصدقاء والأشقاء وتولي المسؤوليات الأمنية في العراق، وحل مشكلة الميليشيات والجماعات المسلحة، فضلا عن، انشاء مؤسسات مستقلة وفاعلة لمراقبة حقوق الإنسان، ومكافحة الفساد المالي والإداري، واصلاح الدعم الحكومي، وتطوير القطاع الخاص وإعادة هيكلة الاقتصاد واستخدام أمثل لموارد العراق النفطية، وتحقيق التنمية البشرية الفاعلة، أما الالتزامات المترتبة على المجتمع الدولي فهي التزامات سياسية تدعم توجه الحكومة العراقية في برنامجها للحكم الرشيد، والتعاون في المجال الأمني وتأهيل العراق للاندماج الاقليمي والدولي، والتزامات فنية تنهض بقدرة العراقيين على إدارة بلدهم وردم الفراغ المعرفي الهائل الذي نتج عن سنوات الحروب والحصار التي حطمت قدرة العراق البشرية، وبالاضافة الى تلك الالتزامات هناك التزامات مالية يحتاجها العراق لبناء البنية التحتية المنهارة والمتقادمة. وفي هذا يشير الدباغ الى ان الوضع في العراق يتجاوز قدرة العراق على تمويل مشاريع البنية التحتية، فالاقتصاد العراقي ذو طابع أحادي، اي انه مبني على النفط فقط، اذ لا توجد مصادر دخل للعراق الان، وبالتالي صادرات النفط وموارده يعتمد عليها العراق من اجل النفقات التشغيلية، وليست النفقات الاستثمارية، وبالتالي نعتقد من الضروري الان ان ينهض القطاع النفطي ويأخذ دوره الكامل، اضافة إلى تنويع الاقتصاد من المجالات الأخرى، فإننا نحتاج إلى هذا المبلغ من اجل البنية التحتية ومن اجل النفقات الاستثمارية للمشاريع.
وبرنامج التنمية الوطنية بموجب هذا العهد الذي تبنته الحكومة العراقية، بمشاركة المجتمع الدولي، يستند الى خطة انفجارية أمدها خمس سنوات، يستبقه تشكيل لجان متخصصة، وعقد مؤتمرات متعددة لوضع جدول زمني للمباشرة بعمليات الإصلاح وفتح ملف بعد آخر، في اطار اقتصاد عراقي حر ومتنام.

وبشأن محاولة المسلحين تعطيل واستهداف الاقتصاد العراقي في اطار الخطة الخمسية، يقول عضو مجلس النواب العراقي عباس البياتي ان الحكومة العراقية من خلال عملية فرض القانون ستعطي رسائل للامم المتحدة وللدول الداعمة الاخرى بانها جادة بفرض الأمن في جميع انحاء العراق، وجادة ايضا بعملية المصالحة الوطنية، وتوسيع العملية السياسية والتعديلات الدستورية المتوازنة التي تصب في مصلحة جميع العراقيين.
وتتضمن الخطة الخمسية تحقيق معدلات نمو سنوية محددة وسلسلة من التعهدات حول الامن وحكم القانون، وحماية حقوق الانسان ومواجهة الفساد وتبني تشريع لتوزيع عوائد الثروة النفطية بين مناطق البلاد، وخطة للعفو عن المسلحين الذين ينبذون العنف، وتتضمن الخطة ايضا تحقيق نمو اقتصادي قدره ١٥,٤٪ في العام الحالي، مقارنة بـ ٣٪ فقط من العام الماضي، وتهدف إلى زيادة الصادرات النفطية للبلاد إلى ٣,٥ مليون برميل يومياً بحلول عام ٢٠١١، مما سيضاعف العائد السنوي لصادرات النفط الخام لتصل إلى نحو ٥٠ مليار دولار، وقد خصص مجلس الوزراء ١١ مليار دولار اي ما يوازي ٢٥٪ من موازنة عام ٢٠٠٧ لخطة استثمارية غير مسبوقة في العراق، ويعد اقتصاديون هذه الخطوة مرادفة لخطة فرض القانون، التي تهدف الى تحقيق الاستقرار في العراق بما يسهم في نهضة عمرانية واقتصادية شاملة تعيد العراق الى مصاف الدول المتقدمة.
وحث الامين العام للامم المتحدة بان كي مون مؤخرا المجتمع الدولي على دعم الخطة الخمسية، وجهود العراقيين في استعادة امنهم وبناء اقتصادهم وعدم تركهم يواجهون مشاكلهم بأنفسهم. وقال إنه يتعين النظر إلى الخطة الخمسية على انها اداة لإطلاق الامكانات الذاتية للعراق، وان التحديات المقبلة هائلة وقال: أنا متأكد من أنكم ستتفقون جميعا معي على أننا لا يمكننا ترك العراق يواجه المشاكل بمفرده

الحياة مع الموت في هذا العراق

د. سهام جبار

نحن أمهاتُ العراق وبناتُه، على أكتافنا علاماتٌ من رصاصه، وفي قلوبنا لهفةٌ للنوم في ترابه ذات يومَ بلا ديون.
أنا ابنةُ عاملَ فرن بسيط قضى حياته يعمل ما خلا أسبوعين قبيل وفاته حين سقط في فرنه بسبب من جلطة في الدماغ، لقد نفدتْ قواه بعد ان أعطى كل ما في هذه القوى أولاداً وبنات وخبزاً.. خبزاً بعدد الأفواه الجائعة كل يوم.
وأنا على هذه الخطى أعطي عدد الطلاب الطالعين كل عام الى صفوف الرابع حقهم من درس النقد. أنقدوا. لم أعرف بديلاً عن الخبز إلا الكتاب. كان أبواي يسميانه ابني لأني أحمله أينما ذهبت، وفي قولهما من اللوم ما فيه.. إلا أنني بالكتاب صرتُ هذا الذي ذكرتُه أماً وابنةً الى الأبد.
كل يوم أستعد ليوم من العمل لكن يخيب السعي إذ أقف عند حدود المناطق، حدود من الرصاص تظلل الرؤوس فلا تعرف أين تطأطئ. طلبتي يقولون أنهم يجاورون السيارات عند عودتهم الى البيوت لعلها تمنع الحديد الطائر برعونة من اقتناص رؤوسهم، وكل ما دونَ ذلك غير مهم. فالرصاص يمكنه أن يستخرج إن لم يكن قاتلاً، لكنها جرأة غير طبيعية أيها الفتيان أيتها الفتيات: الخوف إمارة العقل. لا بد من شيء من الخوف فلا يمكنكم أن تصوموا عنه كله. وأفكر إنها أجيال لم تنظر الى الحرب من بعيد. فهي موشكة دائماً بين أيديهم. قريبة حد التلاطم وما من حيز لرومانسية أفلام الحروب وبطولات المنتصرين. ما من مشاعر تنمو على مهل في انتظار أب محارب سيؤوب الى الأمان، حيث النساء والأطفال. ليست حروبنا شأناً خاصاً بالذكور الكبار القادرين.
اليوم وانا أتأمل لافتة سوداء تنعى دعاء طالب أعدتُ النظر إليها لأكتشف أنها تنعى طفلة روضة ماتت بسبب قذيفة هاون.
الموت يرشُ بخاخَ وجوده علينا بأشكال عدة. يريدنا من كل الزوايا والأشكال، الموتُ موعدنا الذي نتخطاه في إخلاف جسور.. فليست المصادفة أن نموت بل أنْ نحيا.
أخي يتندر معي إثر إصابتي بإطلاقة طائشة في كتفي تموز الماضي بأنها كانت طلقة تائهة وأنا صرتُ الدليل لها. ولكن على الرصاصة نفسها أو على هطولها القدري أن يختار ما يشاء، أن يكون موتاً أو إصابة خطرة أو يكون أمراً مستطاعاً. وما زلنا مستطيعين ما يمكن.
لكن أن أقف على الحدود بين جسر الصرافية وباب المعظم ولا أصل الى كليتي هو في الحقيقة أمرٌ مخزٍ حقاً، أمر يجثم على النفس شأنَ عبوة هو الآخر. أن تقف بين كرخكَ ورصافتهم أو كرخهم ورصافتك، أن تقول أنا من هذا، أو أنا من ذاك فأمر لم أعرفه لم يعرفه العراقيون من قبل، هم صنفوك وليس لكَ أن تختار، هم يعرفونك بعلامات قبائلية قديمة مثل ميسم على الوجه. أنتَ من هذه الطائفة وليس لكَ ان تختار أو تمتنع، ما من شيء يوقف ريحَ هذه الكراهية القبيح. كراهية هذا الذي يقتلك او يضعك في جبهة الأعداء وأنت لم تفعل له شيئاً ولن تفعل.
وأحلم بأن نكمل درسَ مفاهيم النقد، أحلم بأن أسأل طلبتي عمّا تعلموا وأعدّ العدةَ لأمتحان، لكن طلبتي مأخوذون بامتحان آخر في الطريق. أحد الممتحنين في العام الفائت أخبرني انه يقرأ في ضوء هاتف نقال مع انقطاع الكهرباء المتواصل، أخبره أني كذلك أقرأ. لكن لا شيء يخفف من حمولة العيش خاصة عندما يطرد الحزنُ صاحباً قد مات أو أخاً، أو ابناً قد خطف أو امرأة قد أصيبت في انفجار أو بإطلاق طائش لم يدع إلا قليلاً من الناس لم يوشمه.
عندما رقدتُ في المستشفى إثر إصابتي حدثتْني الراقدات عن الإصابات المحزنة، الأم الشابة التي تلقتْ طلقتها في الفخذ محل زوجها ما ان غيرتْ مكانها، والطفل الصغير الذي هاجمه الكلب المتوحش وقيل إنها كلاب مسعورة قد أطلقتْ حديثاً في الشوارع لا نعرف ممّن فهاجمت الأطفال...
والفتاة الشابة التي تتعالج من آثار إصابتها بمفخخة، إصابة لا شفاء لها، كل أشهر يتجدد العلاج ولا فائدة، هي لاتنجو من الألم ويؤذيني نشيجها في الليل ونداؤها الى المضمد كي يقوم بالتضميد وزرق الأبرة في الوريد.
أمها هي الأخرى شابة في الثلاثين مات لها ولدان على جسر الأئمة مما طلاها بالسواد وجعل لها وجهاً في الأربعين، ورغم كل هذه الأحزان ما أن رأتني أدخل الردهة وهي لا تعرفني حتى تطوعت قائمة للمساعدة.
أمهاتٌ أخريات جئنَ من ردهات أخر راويات حكاياتهن وحكايات أبنائهن مع الإصابة.. الدعاء لا يفارق أفواههن للأحباب واللعنة على الأعداء.
ما من عراقي إلا وله شأنٌ مع الإصابة، ومع الخوف والتربص، له حكاية مع المخطوف منه أو المسلوب أو المقتول أو المهجّر.. كلُ أشكال الأذى تحلّ وهي محرمة.
قريبةُ زوجة أخي التي أصابتها المصائبُ مصيبةً إثر مصيبة، فبعد أن قُتلَ زوجُها إثرَ تعرضه للسرقة ونهب سيارته، هجرتْ بعد سنة أو سنتين هي وأطفالُها الثمانية لسبب طائفي، وإثر تنقلها من بيت الى بيت مع تكاليف العيش القاسية رُميت آخر الأمر بقذيفة هاون وقعتْ في مسكنها، إذن ذاك صرختْ يا رب من هذا الذي يترصدني..؟ فمن نار الى نار يا قلب اصبر.أصبري أيتها الأم، أيتها الزوجة.. فلا مناص من الصبر وشد الحزم بالزهد والتقى، ما من فسحة لترف في مأكل أو ملبس، وما من خيار غير الخلود الى الصمت فهو البليغ. وإذا ما انهالت الطلقاتُ من حولك واشتدّ عصفُ القذائف فاسكني واخلدي وتصبري.. دعي لدعائك جدوى التفريج عن القلب الكظيم، وللآيات فضلها في ردّ الموت المبرم دون أذن الله، واطلبي الرحمةَ منه فليس سواه لتذليل هذه الشدائد التي ما بعدها شدائد.ما من عراقي إلا ويغرف من رحمة التوكل على الله، هو يدع للقضاء أن يأخذ مجراه وقد سلّم الروح وهيأ النفس لملاقاة موته مع كل طلعة الى شارع. ما من عراقية إلا وأنشدتْ حسبي الله ونعم الوكيل، ما كان لها ناقة ولا جمل في أن يضطرم كل هذا التقتيل، ويعمّ هذا الإجرام، ولو أعطي زمامُ الأمر للنساء كما أحسب لكفّت الحروب ولا شك. ماذا تريد الأم غير أن يُصان الأحبة وماذا تريد الإبنةُ غير أن يرفرف الحبّ.
تسردُ لي قريبةٌ موظفة في دائرة حكومية سيرةَ يوم من العمل. في الصباح في طريق الذهاب الى الدائرة توقفت بنا السيارة أكثر من مرة إذ نشطت حركةُ عنف في الشارع نزلنا واختبأنا في عمارة وانتظرنا أن ينتهي الإطلاق لنكمل السير الى الدائرة. وقبل انتهاء الدوام تربصنا بالطريق إذ حدثت أعمالُ عنف ولا ندري كيف سنصل الى بيوتنا الواقعة في مناطق خطرة هي الأخرى. لهذه الموظفة طفلة معاقة يرعاها إلى جانب الأم أبٌ وأخ يتناوبان في الألتحاق كل بعمله الى جانب تحاشي أحداث الموت اليومي قدر المستطاع.
وهي تقول أنها فقدت إبنة في الحصار بسبب من أنها وضعتها عند الولادة في حاضنة زجاجية لعدم اكتمال نومها في احد المستشفيات الحكومية، وأعيقت الثانية بسبب من لقاح فاسد أعطي للطفلة في مستشفى حكومي أيضاً.. ولكنها لا تكف عن العمل ورعاية ابنتها وابنها.. والتوكل على الله لتجنب ما ينبغي تجنبه في بيئة الموت هذه.
الأمهات العجائز لا ينمنَ. كلُ أم هي قلبٌ وجسد على نارِ قلق. أولادهن المتوزعون على المناطق هم حجراتُ القلب الممزق على علامات الرضا والسخط المتوزعة في مناطق بغداد بحسب الطوائف. مناطق الأبيض والأسود ولا مكان للرمادي، لا مكانَ لفاقد اللون المصنّف من القتلة. إن تشأ أو لم تشأ فأنتَ منا أو أنت علينا، وهن من حين الى حين يتأوهن عن خشية أو دعاء أو طيف بإبن.
أما اللواتي يفجعن بأبنائهن فعويلهن يفطر القلب فلا يعود صحيحاً أبداً. بكاؤهن لا يقف عند حدود أن لهن إبناً قد اغتيل أو اختُطف أو فُقد فإلى أين؟ لماذا هذا القتل البشع، لماذا قطّعت أعضاؤه أو تناثر لحمه أو شوه ومُثل به؟ لماذا ولماذا ولماذا؟ ألم تكن رصاصة في الرأس تكفي...؟ صارت الرصاصة رحمة! وصار في القتل ما هو هيّن!، وأية أرض حملت جثمانه؟، أية ميتة قد مات؟ أي دافع جدير بأن يكون سبباً لكل هذا التقتيل؟ وأي وأي وأي..؟
لم يعدن ينحنَ إلا طمعاً في قبر يرينه فيبكين عليه.. أيا وليدي كيف صرتَ مجهولَ الهوية وقلبي يعرفك؟ أين وُضعتَ وكيف أجدك؟ وكيف أذوق الحياة ولستَ فيها؟.
وهكذا يمتنَ، كل يوم تموتُ أم ويموتُ أب. إصاباتُ الموت من أمراض القلب والدماغ وما اليهما تتناوب على العراقيين ولاسيما من تخطى الخمسين، الميتات المفاجئة لم تعد مفاجئة والأحزان أوسع من هذا الفضاء والجرح أشد من أن يُلم..
أيها العراق أيها الوليد أيها الأب.. نحن امهاتكَ ونحن بناتُك ولسنا إلا بين يديك وعلى ترابك نقلّبُ فيه قدراتنا، قدرة على الحب وقدرات على الموت في هذا الحب. فما عليك إلا أن تكون وما علينا إلا هذا البقاء في أرضك أو عليها محتسبين أرواحنا الى الله ومنتدبينه كي يمسح برحمته هذه الأحزان فقد مات طفاً الوجع على كل ذكرى وجلل الجسدَ رحيلٌ كثير..